جامعة أبو قاسم سعد الله - الجزائر 2 -
مخبر اللّسانيّات التّطبيقيّة وتعليم اللّغات

اللّسانيّات التطبيقيّة

مجلة علميّة مختصّة في اللّسانيات التّطبيقيّة

العدد الرابع
ديسمبر 2018

اللسانيات التطبيقية
مجلة علمية في اللسانيات التطبيقية
يصدرها مخبر اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات
بجامعة الجزائر 2

المدير الشرفي : فتيحة زرداوي
المدير المسؤول : سيدي محمد بوعيّاد دبّاغ
رئيسة التحرير : حفيظة تزروتي

الهيئة الاستشارية :

مختار نويوات – عبد الله بوخلخال – باني عميري – نصيرة زلال – محمد الشريف بن دالي

لجنة القراءة :

- حفيظة تزروتي (الجزائر 2) - فريال فيلالي (الجزائر 2)
- أميرة منصور (الجزائر 2) - رشيدة آيت عبد السلام (الجزائر 2)
- هندة بوسكين (الجزائر 2) - أحمد فوزي الهيب (الجزائر 2)
- أمين قادري (الجزائر 2) - إسراء الهيب (الجزائر 2)
- نبيلة بوشريف (الجزائر 2) - عبد الرحمان أكتوف (جامعة الجزائر 2)
- لطيفة هباشي (جامعة عنابة)
- علي صالحي (جامعة بومرداس)

- محمد الطاهر وعلي (وزارة التربية الوطنية)
- عبد القادر مزاري (المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم)
- نبيلة عباس (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)
- محمد خاين (المركز الجامعي لغليزان)

لجنة التحرير :

- فضيلة بلقاسمي
- ياسمينة طالبي
- سميرة وعزيب
- منال نش
- أمينة سعد الدين
- سعاد معمر شاوش
- أمال أورابح
- كهينة حفّاظ

ISSN : 2588-1566

قواعد النشر في المجلة

- أن يلتزم المقال المقدّم بتخصص المجلة.

- أن يكون البحث جديدا لم يسبق نشره، وأن تتوفر فيه معايير البحث العلمي ومنهجيته.

- أن لا يزيد حجم النص على خمس وعشرين (25) صفحة وأن لا يقل عن خمسة عشر صفحة (15).

- أن يرفق نص المقال بملخص باللّغة العربية وآخر بإحدى اللّغتين الأجنبيتين الفرنسية أو الانجليزية سواء حرر باللّغة العربية أو اللّغة الأجنبية.

- أن يكتب المقال ببنط AL-Mohaned Bold حجم 15بالنسبة إلى المتن، وحجم 12 بالنسبة إلى الهوامش، أما العناوين فتكون ببنط AL-Mateen حجم 18.

- أن توضع الهوامش في آخر البحث.

- تخضع البحوث المرسلة للتقييم والتحكيم، ولهيئة التحرير أن تطلب من أصحابها إجراء التعديلات المناسبة.

- كل بحث لا يلتزم بقواعد النشر في المجلة لا يؤخذ في الاعتبار، وهيئة التحرير غير ملزمة بإعادته إلى صاحبه.

- المقالات المنشورة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

- ترسل جميع المقالات إلى هيئة التحرير على البريد الإلكتروني الآتي :

linguistiqueappliquee.revue@yahoo.com

محتويات العدد

- المقامية في تعليمية النص - أنموذج مقامات الحريري - 13
أمين قادري /جامعة الجزائر 2
- تعليم الظواهر اللّغوية وفق المقاربة النصيّة لتلاميذ المرحلة الابتدائية وأثره في سلامة نصوصهم المكتوبة..... 33
حفيظة تزروتي /جامعة الجزائر 2
- تعليم النص السردي في كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط - من التلقي إلى الإنتاج- 59
سميرة وعزيب /المجمع الجزائري للغة العربيّة
- نصوص فهم المنطوق للطور الأول من التعليم الابتدائي بين المستوى الترتيلي والمستوى الاسترسالي..... 79
أسامة محمدي وأنفال عياطي /جامعة الجزائر 2
- تعليم العربية للأطفال غير الناطقين بها - تحدياته وصعوباته وسبل معالجتها والتغلّب عليها- 101
خالد حسين أبو عمشة / الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
- تعليم النحو العربي وتعلُّمه للناطقين بالعربية ولغير الناطقين بها 119
جاسم علي جاسم/الجامعة الإسلامية بمنيسوتا فرع تركيا
- نقل إيديولوجيا الخطاب الاستعماري- السياسي من لغة المهيمن إلى لغة المهيمن عليه : نصوص ألكسيس دو طوكفيل (Alexis de Tocqueville) : "نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال" De la colonie en Algérie 137
فريال فيلالي /جامعة الجزائر 2

- معالجة الترجمة الآلية للإحالة بالضمير من العربية إلى الإنجليزية - نظام سيستران SYSTRAN أنموذجا -..... 161

حمزة مسالتي وعصام نحاوة/ جامعة الجزائر 2

- الخطاب الصحفي في ضوء المفاهيم التداولية..... 187

سعيد بكار - جامعة ابن زهر/أكادير، المغرب

- اللسانيات التداولية في الدرس البلاغي العربي..... 201

عمر بوشاكر/جامعة الجزائر 2

- الوعي المنهجي في قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني

- قراءته لمشروع بلاغة السكاكي أنموذجا -..... 223

خديجة صافي /جامعة الجزائر 2

- البلاغة وعلومها في تفاسير المغاربة - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - أنموذجا..... 237

صدارة بلخير/جامعة الجزائر 2

تقديم

يتضمّن هذا العدد الجديد من مجلّة اللسانيات التطبيقية، مقالات متنوعة تنوّع الحقول المعرفية التي يجمعها هذا العلم، إذ يضمّ مقالات في التعليميات وأخرى في الترجمة وفي تحليل الخطاب والبلاغة القديمة والحديثة.

يشتمل مجال التعليميات على ستة (6) مقالات، يعالج الأول منها موضوع "**المقامية في تعليمية النص - أنموذج مقامات الحريري -** "، حيث يبرز أهمية معيار المقامية، ويناقش إمكانية إدراجه في تعليمية النص الأدبي بواسطة المقامة التي تمثّل سندا نموذجيا لإبراز مفهوم هذا المعيار (المقامية). ويستهدف المقال الثاني : "**تعليم الظواهر اللّغوية وفق المقاربة النصيّة لتلاميذ المرحلة الابتدائية وأثره في سلامة نصوصهم المكتوبة**" تقييم دور المقاربة النصيّة في تعليم الظواهر اللّغوية لمتعلمي نهاية مرحلة التعليم الابتدائي ؛حيث يقيّم السلامة اللغوية في إنتاجاتهم الكتابية، ويقدّر مدى نجاح تعليم الظواهر اللغوية عن طريق المقاربة النصيّة، ومدى تمكينها المتعلمين من تجنيد هذه الظواهر وإدماجها أثناء الإنتاج الكتابي، وبالتالي تحقيق الكفاءة اللّغوية.

ويقيّم المقال الثالث الموسوم بـ "**تعليم النص السردي في كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط - من التلقي إلى الإنتاج -**" نصوص كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط (الجيل الثاني) ومدى تحقيقها الكفاءة الختاميّة التي ترتكز على النمط السردي، وذلك من خلال دراسة عينة من النصوص والوضعيات الإدماجية الواردة فيه.

ويبحث المقال الرابع المعنون بـ "**نصوص فهم المنطوق للطور الأول من التعليم الابتدائي بين المستوى الترتيلي والمستوى الاسترسالي**" في واقع تعليم نصوص فهم المنطوق في الطور الأول من التعليم الابتدائي، من حيث توظيف أساتذة اللغة العربية في أدائهم هذه النصوص لخصائص اللغة المنطوقة بمستوييها الترتيلي والاسترسالي، تأسيسا على ما دعا إليه الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، واعتمادا على شبكة لتقييم هذا الأداء.

ويتطـرق المقـال الخامس، لموضـوع :**"تعلـيم العربيـة للأطفـال غـير الناطقين بها. تحدياته وصعوباته وسبل معالجتها والتغلّب عليها"** ؛ إذ تُعنى الدراسة فيه بالصعوبات والتحديّات التي تواجه تعليم العربيّة للأطفال غير الناطقين بها ، والتي قسّمها صاحبها إلى تحديات خارجية وأخرى داخلية ؛ حيث ترتبط الأولى بغياب التخطيط والسياسة اللغوية ، وضعف تأهيل معلميها وندرة المناهج والكتب التعليمية التي تستهدف هذه الفئة من الأطفال... وأمّا التحديات الداخلية فتتعلّق بالعملية التعلّميّة التعليميّة نفسها ، وما ينبغي أن يصاحبها من معرفة بكيفية اكتساب الأطفال اللّغات عموماً والعربية خصوصاً ، وقلّة أساليب التقييم والتقويم المناسبة... ، وفي السياق نفسه يبرز المقال السادس **"تعليم النحو العربي وتعلُّمه للناطقين بالعربية ولغير الناطقين بها"** ، أهميّة علم النحو الذي وضع أساسا لغير الناطقين بالعربية في محاولة لاستدراك نقص الملكة النحوية التي تميز بها المتكلمون الأصليون للعربية في الجاهلية وصدر الإسلام.

يشتمل هذا العدد أيضا على مقالين في الترجمة ، أحدهما للترجمة البشرية والآخر للترجمة الآلية ، فأمّا الأول، وهو المقال السابع في العدد ، الموسوم بـ **"نقل إيديولوجيا الخطاب الاستعماري - السياسي من لغة المهيمن إلى لغة المهيمن عليه : نصوص ألكسيس دو طوكفيل (Alexis de Tocqueville) : "نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال" De la colonie en Algérie أنموذجا"** ، فيقدّم الأساليب والتقنيات التي يلجأ إليها المترجم في نقل إيديولوجيا الخطاب السياسي الاستعماري من لغة المهيمِن إلى لغة المهيمَن، ومدى توفيقه في إيصال هذه الشحنة إلى القارئ من خلال ترجمة مدونة من الفرنسية إلى العربية. وأما الثاني، وهو المقال الثامن، والمعنون بـ : **"معالجة الترجمة الآلية للإحالة بالضمير من العربية إلى الإنجليزية -نظام سيستران SYSTRAN أنموذجا-"** ، فيبرز الصعوبات التي مازالت تعترض الترجمة الآلية ، من العربية إلى الإنجليزيّة تحديدا ، على الرغم من كلّ ما شهدته التكنولوجيا الحديثة من تقدّم لا نظير له في مجال اللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي، وفي مقدّمة هذه الصعوبات ترجمة نظام سيستران للإحالة بالضمير.

يتناول المقال التاسع من هذا العدد موضوعا مرتبطا بحقل تحليل الخطاب عنوانه : **"الخطاب الصحفي في ضوء المفاهيم التداولية"** ، وهو

عبارة عن دراسة تبيّن جدوى المصطلحات التداولية لدى محلّل الخطاب، خاصّة فيما يتعلّق بتحليل المعاني المضمرة والأفعال الكلامية، وقد اتخذ المقال مدونة له عمودا للصحفي المغربي "رشيد نيني".

يضمّ العدد أيضا ثلاثة مقالات في البلاغة، يعالج الأول منها ؛أي المقال العاشر في العدد، موضوع **"اللسانيات التداولية في الدرس البلاغي العربي"**، فيبرز القضايا التي تشترك فيها البلاغة العربية القديمة مع اللسانيات التداولية، ويؤكّد أنّ تداولية المتكلم، والمخاطَب، والخطاب في البلاغة العربية، أكبر دليل على أن البلاغة العربية درست اللغة حال استعمالها. ويقترح المقال الثاني، وهو المقال الحادي عشر : **"الوعي المنهجي في قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني-قراءته لمشروع بلاغة السكاكي أنموذجا-"** إعادة قراءة المدونات التراثية واستقرائها، من خلال قراءة محمد الصغير بناني لنص السكاكي باعتباره أحد النصوص المؤسسة في المنظومة الأدبية والبلاغية. وأمّا المقال الثالث، أي الثاني عشر، والمعنون بـ : **"البلاغة وعلومها في تفاسير المغاربة -كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - أنموذجا -"**، فهو يتوخى مفهوم البلاغة وعلومها في كتب تفاسير القرآن عند المغاربة. وتحديدا في كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي الغرناطي، الذي ذكر في مقدمته مباحث متنوعة، شملت بعض علوم القرآن، كما خصّص مبحثا للفصاحة والبلاغة وعلومها، وهو الشتات الذي جمعه المقال وحلّله قصد إبراز نظرة ابن جزي لمفهوم البلاغة وعلومها، ومنه نظرة علماء زمانه لذلك.

بهذا يكتمل العدد الرابع من المجلة الذي يقدّم نتاج أعمال بحثية متنوعة، تمتاز بالأصالة، وتضيف إلى المعرفة الإنسانية ما يستفيد منه الباحثون في شتى فروع اللسانيات التطبيقية.

رئيسة التحرير

الوعي المنهجي في قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني
- قراءته لمشروع بلاغة السكاكي أنموذجا -

خديجة صافي / جامعة الجزائر 2

ملخص

يعد الجهد المبذول في قراءة تراثنا العربي البلاغي والنقدي من زوايا جديدة مطلبا ملحا تدعو إليه الحاجة القوية، خصوصا ونحن أمام تطور قرائي للتراث العالمي، والذّي أفرز عدة نظريات ومناهج تبهر كل من يتسلح بالمعرفة الواعية للتراث، وتفتح له شهية إعادة قراءة المدونات التراثية واستقرائها بكل موضوعية. وهب بناني نفسه خدمة هذا التراث ومحاولة تجديده، لذلك اتخذنا قراءته كنموذج قرائي لنص السكاكي بوصفه أحد النصوص المؤسسة في المنظومة الأدبية والبلاغية.

الكلمات المفتاحية : قراءة التراث، الوعي المنهجي، البلاغة، التأويل.

Résumé

L'effort consacré à la lecture de notre héritage arabe, d'éloquence et de critique sous de nouveaux angles, est une demande exprimée suite à des besoins impératifs pressants. En particulier, face au développement de lectures du patrimoine mondial, qui a donné lieu à plusieurs théories et approches, qui fascinent celui qui s'arme de la connaissance consciente du patrimoine et lui donnent la volonté de relecture des corpus patrimoniaux en toute objectivité. Benani a consacré sa vie au patrimoine en tentant de le renouveler. Ainsi, nous avons pris sa lecture comme modèle de lecture du texte de «El Sakaki», considéré comme l'un des textes fondateurs du système rhétorique et littéraire.

Mots clés :

Lecture du patrimoine, prise de conscience méthodologique, la rhétorique, l'interprétation.

مقدمة

إنّ الوعي بإشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر جزء من إشكالية أوسع هي إشكالية التراث والحداثة ،وقد أفاض الدارسون القول في هذه الإشكالية، وبينوا مظاهرها وتجلياتها، وبحثوا في أسبابها واستتباعاتها، وانتهوا إلى أنّ الطابع العام المميز للثقافة العربية المعاصرة هو ذلك الوعي الإشكالي الناتج عن التردد بين نزعة التأصيل ونزعة التحديث، ويبدو أنّ المحرك الأساسي لحركة إعادة قراءة التراث يكمن في الوعي المنهجي الذي هيمن على تفكير النقاد المعاصرين المغاربة، وكان له الدور الفعال في توجيه أعمالهم. ويمكن إبراز هذا الوعي وتجلياته من خلال ما تشهده الدراسات المغربية من ثورة بلاغية تقوم على استلهام منجزات البلاغة العربية القديمة سواء من حيث المشروعات المختلفة أو الرصيد المصطلحي،كما أنها تستفيد من القراءات المشرقية الرائدة التي سعت إلى محاولة تجديد الدرس البلاغي بالإضافة إلى إلمامها بالتراكم الكمي والنوعي الذي أسفر عنه الفكر العربي في محطاته المتتابعة.

هكذا شهد الخطاب المغربي المعاصر انفتاحا مثلّته كوكبة من الدارسين بتقديم قراءات فاعلة وجادة في العناية بالتراث مقاربة ونقدا، حتى تشكلت اتجاهات متباينة ومواقف نقدية مختلفة تدعو - بما تتمثله من مشارب فلسفية ومرجعيات معرفية - إلى تحقيق بصمة وخصوصية في مجالها القرائي.

ومن هذا المنظور حقق التراث انتصارا حينما انفتح على أوجه المناهج المختلفة ،وتأكدت أهمية إعادة قراءته قراءة معاصرة تحوي صورا جديدة ومنهجية دقيقة ومتكاملة. ويعد الأستاذ الدكتور محمد الصغير بناني من الذين حرصوا في بداية مسارهم العلمي على إدماج البلاغة العربية في سياق النظريات الأدبية المعاصرة، فقد حمل همّ الدعوة لانفتاح البلاغة العربية بإعادة قراءتها وبعثها بروح المعاصرة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من البلاغة العالمية ،وهذا باعتماده القراءة التركيبية ذات الأبعاد الشمولية والتي من شروطها فهم السابق من اللاحق واللاحق من السابق،كما وقف على جملة من القضايا وفق منهجيات متعددة في منظورها ورؤاها لتعميق الوعي بالتراث البلاغي والكشف عن التنوع الخلاق الذي يقوم عليه ومدى فاعليته وقوة علاقته بحاضر المعرفة الراهنة ومستقبلها.

لذلك رأى هذا البحث تسليط الضوء على مشروع مقاربة محمد الصغير بناني للتراث البلاغي لما له من عظيم الجهد وعميق النظر في تقديم رؤية منهجية حداثية دقيقة تتماشى مع متطلبات عصر الحداثة في عنوان، وسمناه بـ : «منهجية قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني. قراءته لمشروع بلاغة السكاكي أنموذجا» وعليه سنعالج الموضوع ضمن التساؤلات التالية : ❖ ما الطارئ الذي استدعى بناني لقراءة جديدة لمشروع السكاكي، وما هي خصوصيات هذه القراءة ومميزاتها المعرفية والمنهجية ؟

وانطلقنا من فكرة مفادها أن محمد الصغير بناني قرأ المدونة التراثية للسكاكي متخذا في ذلك منهجا نقديا شاملا، فإلى أي مدى سيوفق بناني في قراءته لمشروع السكاكي باعتماد منطلق المنظومة الواحدة الذي تفرضه متطلبات العصر ؟

وإذا كان مفهوم الحداثة عند بناني يتأسس على مبدأ الوعي بالتراث، وفي الوقت نفسه يفيد من الروافد المعرفية الحديثة فإلى أي مدى تمثل الوعي المنهجي في قراءته للتراث البلاغي ضمن ثنائية التراث /الحداثة ؟

لقد حظي مشروع السكاكي بدراسات عديدة تم حصرها فيما سبق بين دراسات معاتبة لمشروع السكاكي وطروحاته من جهة وأخرى تسعى لرد الاعتبار لصاحب هذا المشروع ومنجزه العلمي في البلاغة العربية من جهة أخرى،ويأتي إشكالنا من زاوية مراجعة هذه المواقف باعتماد قراءة محمد الصغير بناني وعرض تصوراتها الجديدة التي نعلن مسبقا أنها سبقت كل القراءات الّتي كان من أهدافها محو جملة من الاعتقادات التي تثبتت في ذهن القارئ، والّتي منها ما تعلق ببلاغة السكاكي ومنهجه المعقد الجاف والّذي قيل حوله الكثير. والسؤال المطروح هنا :كيف قرأ محمد الصغير بناني مشروع السكاكي، وما هي نتائج هذه القراءة/، وما جديد محمد الصغير بناني من قراءته المعمقة في كتاب المفتاح ؟

نشير أولا في هذه المحطة إلى أنّ محمد الصغير بناني طرح مشروع السكاكي في مؤلفين : 1- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة[1]

1- البلاغة العربية وأصولها النظرية - دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقدية التّي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع هجري[2].

يأتي مؤلفه "المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة" ليعد السكاكي مدرسة قائمة بذاتها سماها "مدرسة السكاكي"، وقابلها في الدرس الحديث بمصطلح "اللسانيات الشمولية"، وقد وردت دراسته في تسع صفحات، بيّن فيها محمد صغير بناني أهمية مشروع السكاكي ومنجزاته الّتي وصفها بالشمول «لجميع القضايا اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية بما في ذلك جوانب الإعجاز في النص القرآني، وتطرق لأول مرة لقضايا المنطق والاستدلال، وقد أسّس بذلك ما يسمى اليوم باللسانيات الرياضية الّتي لا يزال حقلها محدودا حتّى عند اللسانيين أنفسهم»[3]، ولم يصدر هذا الحكم من قبل مفكرنا إلا بعد جهد جهيد قام به في أطروحته التي نال بها درجة دكتوراه دولة سنة 1993 والتي فتح بها أفق البحث في هذا المجال، فكانت اللبنة الأولى التي أسّس عليها كتابه الأول الذي برز نتيجة القراءة المتأنية والمعمّقة في المفتاح باعتباره من أهم محاور الأطروحة الّتي قدمها.

وقد يتساءل القارئ عن سبب اعتمادنا في الصدارة الكتاب الذّي ألّفه بعد مناقشة أطروحته، وهي أراء تناولها مؤلفنا في مؤلفه "المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة". وسبب حصر حديثنا حول هذا المؤلف أولا لا يتعدى كون أطروحة محمد الصغير بناني لم تطبع ولم تنشر، ومنه للأسف لم يطلع عليها الكثير من الدارسين إن لم نقل إنها بقيت حبيسة أدراج المكتبة الجامعية الجزائرية، لهذا السبب قررت الانطلاق من المتداول المعروف إلى المغمور، ومن النتائج المعروضة في مؤلفه "المدارس اللسانية" إلى التصور العام والإشكالات المتشابكة والحلقات المتلاحمة التي أنتجت لنا رؤية متكاملة قدمها كعصارة في كتابه هذا، وكطروحات متشابكة في أثناء نيله الدكتوراه في البلاغة بعمله الموسوم بـ "البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع وبإشراف

الدكتور المعروف "عبد الله الركيبي" سنة 1993 م في جزأين ضخمين لم يطبعا إلى يومنا، ولم يطلع عليهما الدارسون في حدود علمنا، ولم يشيروا إليهما رغم أنهما يحملان في طياتهما مادة علمية ضخمة وثرية، تضاهي إن لم أبالغ المادة العلمية التي حمّلها محمد العمري كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، وتتقاطع في كثير من النقاط والقضايا الهامة مع ما عرضه محمد الصغير بناني في أطروحته العلمية التي ناقشها سنة 1993 كما ذكرنا آنفا، بينما مؤلف محمد العمري تم طبعه سنة 1999م بعدما أتمه سنة 1997م وهذا ما ذكره في مقدمة الكتاب[4]، أي ثمة ما يقارب أربع سنوات بين ظهور الطرح الأول والثاني، وهذا لا يعني أنّ محمد الصغير بناني لم تعرفه الأوساط العلمية الوطنية والعالمية، بل على العكس من ذلك فإنّ بلاغيا بحجم محمد العمري المفكر البلاغي الكبير قد ذكر انشغالات بناني في مشروعه العلمي، ونخص بالذكر كتابه "النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"[5]، مما يحيلنا إلى أنّ العمري لم يسعفه حظ الإطلاع على مشروع بناني في الدكتوراه، وإلّا لكان أعطاها حقها من الدراسة، لأنه يطمح إلى إدراج بلاغتنا العربية ضمن البلاغة العالمية والتراث العالمي.

إنّ هذه اللفتة تحتاج إلى نقاش ومدارسة ومقارنة بين المشروعين لإخراج هذا المشروع العلمي الجزائري إلى النور، ويكون مؤلفنا محمد الصغير بناني قد دخل التاريخ من بابه الواسع، لأنه أول من أعطى الدرس البلاغي العربي حقه من البحث والمكانة، وأسهم بذلك في إدراجه ضمن الموروث البلاغي العالمي، فقد رحل بناني قبل أن يتيسر له طبعه، وبقي الكتاب سجين المكتبة والساحة الأدبية بأمس الحاجة إليه. إذن فلنتجاوز تقصيرنا في حق هذا المبدع بدعوة منا لفتح المجال والنظر في مؤلفاته، لعلّ استقراء مشاريعه والتنقيب في مضامينها يعدّ إنارة للفكر الأدبي، ومنه الفكر العربي الإسلامي في ظل المساءلات الّتي تتطلب الخوض العميق في أطروحات بناني، وكذلك تتطلب الفحص الدقيق لدرجة الوعي الفكري والمنهجي الّذي تشبع بهما بناني جراء ثقافته ودقّة آرائه وصرامة أحكامه

المنبثقة من المنهج الّذي فضّل الاستعانة به في أثناء القراءة، وهو المنهج الحجاجي الإقناعي الذي استند فيه على مبدأ الشك في كل ما قيل.

يستفتح بناني منجزه الضخم بمقدمة يدلي في بدايتها أنّ تطور العلم يستدعي من الباحثين إعادة التدقيق والتمحيص والاعتماد على البحوث الميدانية لمراجعة كثير من الأحكام المسبقة التي قيلت عن البلاغة العربية حتى الآن، فصرّح منذ البداية أنّ همه كان إعادة دراسة البلاغة العربية في ضوء الدراسات الحديثة، لكنه وجد أنّ «الأولى من ذلك فهم البلاغة فهما صحيحا والكشف عن أصولها النظرية العميقة وعن المبادئ اللسانية والفنية والعقدية التي قامت عليها قبل التفكير في تجديدها، وذلك بقراءة معمقة ومتأنية للنصوص الأساسية التي كانت وراء نشأتها وتطورها، ذلك أننا شاهدنا أنّ كل ما قيل عن البلاغة لا ينطلق من دراسة ميدانية شاملة، ولا حتى من قراءة معمقة لبعض النصوص الأمهات في الكثير من الأحيان»[6]، إذن فبناني هنا ينطلق من إيمانه العميق بضرورة إعادة النظر في الأحكام المسبقة بالقراءة المعمقة المتأنية للنصوص التراثية انطلاقا من دراسة ميدانية شاملة، فبناني يعتمد القراءة التأويلية الفعالة المحاورة للنصوص والتي تعزلها عن الأحكام المسبقة[7]، وهذا ما جعله يذكر مراحل نشأة البلاغة العربية.

وعلى أساسها قسّم فصول بحثه لثلاثة فصول :

- الفصل الأول : البلاغة في الشعر الجاهلي، وتقابلها في مراحل النشأة مرحلة تعليق القصائد الممتازة على أستار الكعبة.

- الفصل الثاني : البلاغة في القرآن والحديث، وتقابلها مرحلة نزول القران.

- الفصل الثالث : البلاغة عند كبار المنظرين، وتقابلها مرحلة ظهور علم الكلام للدفاع عن الإعجاز والتي تنتهي بانفصال البلاغة عن العلوم الأخرى.

ما يهمنا هنا هو الفصل الثالث، وهو بلاغة السكاكي، ومبتغى إيرادنا لهذا التفصيل أن يعلم القارئ أن بناني قد قرأ السكاكي على اعتباره جزء من كل، فقد قدم قراءته للمفتاح في خضم دراسته لأطوار البلاغة العربية واستقرائه لمراحل نشأتها لفهمها وكشف أصولها في دراسة ميدانية شاملة، ولم يدرسه بمعزل عن البقية. إذن فبناني ينطلق من وعي

معرفي عميق بخصوصية التراث البلاغي باعتباره حلقات تفاعلية متكاملة، فالتراث البلاغي روح واحد يبث في مفاصل مسلكية متدرجة، رعاها بناني، فاستطاع الكشف عن الجديد والذي مثلته مظاهر الوعي المنهجي في هذه القراءة التي لا يتسع ذكر تفاصيله هنا، بل نقدم أهم نتائجها اختصارا فيما يلي :

❖ إنّ باحثا تفرغ لمهمة واحدة تكمن في استخلاص معنى النص من النص نفسه، وذلك من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه، وبهذا يتم تجريد الذات من هيمنة النص التراثي بإخضاعه لعملية تشريحية عميقة، تحوله بالفعل إلى موضوع للذات،وإلى مادة خصبة للقراءة[8]، وفضلُاعما سبق فإنّ ما يميّز منهج بناني هو دعمه للوعي القرائي لدى المثقف العربي، وذلك بتشجيعه على مراجعة الثوابت والتشكيك في مدى صحتها، وفي إقامته لرؤية شمولية ومعمّقة لمفتاح العلوم،فلم يقتصر بناني على تحليل البنية الداخلية لنص السكاكي، وإنما طلب التكامل بإنزال النص في السياقات العامة التي أنتجته، ويصرح جابر عصفور بنجاعة هذا المنهج فيقول :«كل نص من نصوص التراث البلاغي لا يمكن أن نقرأها في عزلة عن غيره من النصوص، فالتراث البلاغي وحدة سياقية واحدة داخل وحدة سياقية أوسع هي التراث كله...بهذا المعنى تكون قراءة التراث النقدي بحثا عن رؤيا عالم ينطقها النص المقروء ويشير إليها في صراعاتها وتوازياتها ومن خلال علاقات التشابه التي تصله بغيره من النصوص أو علاقات التضاد التي تضعه في تناقض مع غيره من النصوص»[9]، بهذه الطريقة التّي ذكرها جابر عصفور قرأ بناني نص مفتاح العلوم حيث قابله في كثير من الأحيان بما سبقه من منجزات في الدرس البلاغي القديم وبما لحقه من منجزات أخرى في الدرس البلاغي الحديث ليصل إلى نتائج هامة هي :

❖ أنّ المفتاح هو الخطوة الطبيعية المنتظرة، وهو ثمرة جهد سابقيه، مثلت مرحلته مرحلة نضج الدرس البلاغي.

❖ أنّ منهج السكاكي في دراسته للبلاغة اتصف بالمنهج العلمي التجريدي الذي يبرهن عليه التسلسل المنطقي والتدرج في طرح القضايا والمسائل.

❖ كان للسكاكي كغيره من البلاغيين القدامى فضل الالتفات إلى العديد من الظواهر الهامة في اللغة سواء في النحو أو الدلالة أو البلاغة أو الأسلوبية أو التداولية، كما كانت له إطلالات تفتح أفق الدرس في مجال الدراسات اللسانية المعاصرة، فمعالجتها بوعي عميق منا في يومنا وبفهم دقيق يجعلنا نستدرك ما طرحه اللغويون والتداوليون الغربيون.

❖ أنّ من مظاهر الجدة في مشروع السكاكي، تطوير مسائل علم البلاغة فهو أول من دقّق وبوّب وقنّ مسائل هذا العلم، والدافع إلى تأليف المفتاح دافع تعليمي أملته مقتضيات عصر السكاكي.

❖ نعد مساهمة السكاكي في الدرس البلاغي جديرة بالاهتمام ناهيك أنّ محاولة صاحبها انتهت إلى نتائج حاسمة، ولم يخل مفتاحه من خطرات ذات بال تكشف عن أهمية الجهد الذّي بذله السكاكي في سبيل تطوير الدرس البلاغي وضبط مسائله.

❖ تعمق السكاكي في مفهوم اللغة باعتبارها ظاهرة معقدة ذات أبعاد تتطلب دراستها الإحاطة بعلوم عديدة، فجعل المفتاح يضم علوم اللغة (صوتا، صرفا، نحوا، دلالة، وبلاغة) ويهدف التأسيس لعلم الأدب الّذي تتكامل فيه المستويات المختلفة لدراسة النص، ومنه دراسة اللغة من جميع نواحيها تحقيقا لأهداف توخاها في علم الأدب، أبرزها الاحتراز من الخطأ في العربية في أثناء الكلام في عصر ضعفت فيه الملكات وفسدت الأذواق، وهو ما جعله يدرس طرائق التعبير، فوظّف بعض مباحث المنطق في ذلك كالحد والاستدلال، وبذلك أكسب بلاغته أبعادا لسانية مهمة في المجال الصوتي (الحرف، الصوت) والدلالي (مقتضى الحال)، ويحيلنا هذا التدقيق إلى الجزم باتصاف السكاكي بنظر ثاقب وحس مرهف حيث شكل مفتاحه ليسهم إسهاما ناضجا وثريا في الدراسة العلمية الحديثة.

❖ استطاع بناني أن يحدد موقف السكاكي من الفلسفة، وبذلك يعيد النظر فيما شاع عنه بتأثره العميق بالفلسفة اليونانية ،فاستعماله لبعض مصطلحاتها وأخذه ببعض أرائها لا يعني بالضرورة انتمائه إلى مذاهبها، ولا يعني بالضرورة تبني رؤاها ومناهجها وتصوراته.ويأتي رد

بناني على القائلين بتأثر السكاكي بالفلسفة اليونانية ردا حجاجيا لدرء الشكوك في هذه القضية، فيقدم لنا حججا وبراهين مثلتها نصوص ثلاثة صريحة نابعة من المصدر أي المفتاح.

❖ بيّن دور السكاكي في تجديد الدرس البلاغي من خلال :

- إعادته تنظيم الفضاء البلاغي بإدخال الترتيب عليه.

- بناء الكتاب على قواعد منطقية عامة تشمل جميع الجوانب اللغوية والنحوية والمنطقية والفنية الّتي يقتضيها مبحث الإعجاز.

❖ لقد استفاد بناني من مكتسبات المنهجية الحديثة، فقدم لنا مقاربة بين ما قدمه السكاكي من تصورات وبين ما توصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة التي تعالج قضاياها اللسانية والبلاغية، وهي تصورات عامة تفي بغرض الدرس،فرأى أنّ هذه البنية العميقة القائمة على فكرة أساسية هي الاستدلال لإعجاز القران بإثبات أسرار البلاغة، وهي الطريقة المنهجية التي اعتمدها من سبقوه أمثال الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني «ترجع في التصورات اللسانية والبلاغية إلى نموذج واحد قائم على خمس دعائم متنامية تناميا هرميا يحدد درجات القيم الجمالية والعقدية في مدارك الإعجاز، ويستند إلى نظرة كونية يلخصها مبدأ العالم الصغير سليل العالم الكبير، والفرق الوحيد أنّ السكاكي أخرج كل ذلك في قالب تعليمي وفي شكل قواعد نظرية عامة موجهة للحفظ والتطبيق»[10] ومنه فمشروع السكاكي كان له التأثير الكبير على الأجيال اللاحقة، لأنه لخص الأصول النظرية العامة الفكرية والعقدية والأدبية التي تقوم عليها الثقافة العربية بأكملها.

❖ حاولت هذه المقاربة تعميق القلق المعرفي والدعوة إلى السعي الحثيث من أجل المزيد من التفكير في فتح أبواب جديدة لقراءة التراث البلاغي الذي لا يزال غامضا وفتح أبوابه الخفية، فكما ثبت أن مفتاح السكاكي لا تحده الحدود وسيظل الإبداع في شأنه مفتوحا، فكذلك ما يكتب من حوله يجب أن يظل مفتوحا لتحليله وقراءته وتأويله، ولّما كان التعدد والتنوع لا ينفي الوحدة في إطارها النظري العام، فقد كانت

المقاربات التي تحاورت مع مدونة السكاكي بمثابة تجارب جزئية متنوعة يمكن النظر إليها جميعا على أساس أنها حاولت اكتشاف الروابط الخفية في أطاريح السكاكي ضمن مشروعه الضخم **"مفتاح العلوم"**، والذي اتهم على مرّ الزمن بالتعقيد والجمود، ولعل النتائج التي توصلنا إليها ستفضي بنا لتبرئة المشروع العلميل لسكاكي، فباكتشاف عصره وخصائصه وباستقرائنا لملامح الوعي المنهجي لديه من خلال قراءة بناني توصلنا لنتيجة مفادها تبرئة مشروع السكاكي مما قيل عن منهجه، فنحن لا نحمّل السكاكي وزر ما أصاب البلاغة من جمود وجفاف وعقم، فكل قديم جديد في عصره، لذلك نجد السكاكي لبّى نداء عصره وخضع لإملاءاته، فصاغ مشروعه صياغة لم تكن هرمة، بل عدت بذرة يجب أن تحظى بالرعاية والسقي، حتى يحين جنيها عن طريق قراءة تزاوج بين التراث والحداثة.

❖ مقاربة بناني اتسمت بوعي منهجي عميق رامت إبراز ما في التراث البلاغي **"مفتاح العلوم"** من مظاهر قيمية ومفاهيمية تستدعي النظر في إطار التصورات الحداثية الواعية باعتماد المقارنة بين أطاريح السكاكي والقضايا المعاصرة، بمعنى أنّ طموح هذه القراءة يسعى للكتابة من منظور حداثي لساني واع باختياره، ويعتمد المنهجية التفكيكية لقراءة النص من وجهة داخلية قصد التعرف على آلياته الفكرية التي أنتجت هذا التوجه المعرفي.

❖ لقد وفق المفكر اللساني العربي الجزائري محمد الصغير بناني - رحمه الله - في مدّ الجسور في ظل إشكالية التراث والحداثة بمحاورة الموروث العربي ممثلا في"مفتاح العلوم"بآليات منهجية ممثلة في شذرات الدرس اللساني الحديث، مما مكّنه من كسر قناعات تثبتت عبر الزمن، وعليه يمكن اعتبار بناني مراجعا لهذا التراث، ومعيدا لصياغته.

❖كان همّ بناني فهم تصور السكاكي فهما يستوعب دلالته في التراث ويتجاوزه إلى احتياجاتنا الفكرية والحضارية، فهما يغاير كل فهم سابق لفكر السكاكي، وإعطائه صورة مغايرة أنتجتها عمليات الفحص والتحليل والمقارنة والتنظيم وإعادة التركيب من خلال عملية الاستكشاف والاستقراء المعمّقة.

❖ وهكذا يكون بناني قد قدّم لنا نموذجا قرائيا للنص التراثي "مفتاح العلوم"، وبيّن لنا أن الدرس قد ينتقل من الإطلاق إلى النسبية، ومن المادة الجاهزة والمكتملة إلى المدى المفتوح في تصور القراءة التّي تدرك أنّ الوعي بالتراث هو جزء من الوعي بالواقع المعاش، وأنّ الجديد والنهضوي مطلقا هو مبني، ولا يكتمل دون القراءة التّي تعيد إنتاج التراث لتتجدد به ويتجددبها في الوقت نفسه.

❖ من خلال مفتاح العلوم نستطيع القول إنّ للسكاكي نظاما فكريا متميزا يكشف عن الروح العلمية والموضوعية الدقيقة التي تحلى بها، واستطاع بحسه العلمي الفائق أن يدرك المفاهيم لسانية اقترب بها من المصطلحات اللسانية المعاصرة، لنصل دون مبالغة إلى القول : إنّ السكاكي رائد من رواد الدرس البلاغي، وواحد من بين العلماء التراثيين اللامعين الذين اعتبرت مشاريعهم مادة دسمة تعين البلاغيين المحدثين ممن استوعبوا طروحاتها على فهم التنظيرات الحداثية، ولردم الهوة المفتعلة بين التراثيين والحداثيين.

❖ يعتبر النص التراثي **"مفتاح العلوم"** عقدا معرفيا غنيا مما يؤكد أنّ هذا التراث يحمل من الخصوصية الإنسانية والإبداع الأصيل القسط الوافر، لذلك وجدنا بناني يتعامل مع مثل هذه الظواهر التراثية بخلفية الرسالة المفتوحة التّي لا يحدد شفراتها التأويل، بل يظل نصها مفتوحا يرفض الميل إلى الأجوبة التّي تدعي اليقينية في الطرح.

❖ تعيننا مثل هذه المقاربة بين التراث العربي القديم والمناهج الحديثة على إبقاء الروابط بيننا وبين هذا التراث العظيم والغزير، والمناهج الحديثة التّي نحن بحاجة إليها للارتقاء باللغة العربية و آدابها، وبذلك نكون قد جمعنا انشغالين : المحافظة على التراث من جهة،ومسايرة هذا التطور والمعاصرة من جهة أخرى.

❖ وفي الأخير يمكننا الاستعانة بهذا التراث البلاغي العربي لفهم هذه النظريات اللسانية الغربية، وتقريب التراثيين العربي والغربي ليكتمل التراث الإنساني العالمي.

❖ يحسب لبناني من خلال هذه القراءة قدرته على زعزعة القناعات التّي طال اعتناقها، فأضحت من المسلمات في فكر النقاد والقراء على حّد سواء، ليأتي دور القارئ الحداثي الواعي باختياره ليبني قراءته على مبدأ الشك المعرفي الذي لا يستسلم للحقائق الجاهزة، بل تراه يجّهز نفسه بعدّة منهجية قصد البحث والتنقيب في المواطن المظلمة للنص التراثي البلاغي الذي كان منه نص مفتاح العلوم، نص تناوله المفكر اللساني محمد الصغير بناني مجسدا فيه مبدأ التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة.

الهوامش

[1]- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة ،دار الحكمة، د.ذ.ط، 2000.

[2]- محمد الصغير بناني، البلاغة العربية وأصولها النظرية، رسالة دكتوراه، إشراف : عبد الله الركيبي، 1993.

[3]- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص.41[1]

[4]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، د.ذ.ط، 1999، ص6

[5]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ذ.ط، 1993.

[6]- محمد الصغير بناني، البلاغة العربية وأصولها النظرية، رسالة دكتوراه، ص402.

[7]-ينظر محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 1993، ص22.

[8]- محمد عابد الجابري ،نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 1993، ص23

[9]- جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1994، ص41.

[10]- المرجع السابق، ص439.